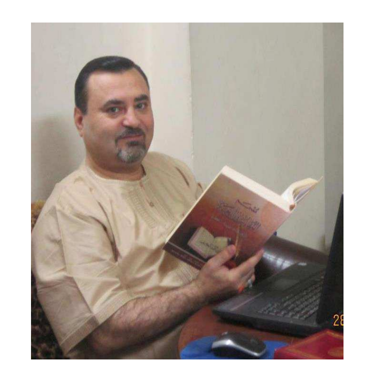


مؤسسة مؤمنون بلا حدود

المحاور الأستاذ: يوسف هريمة

2014/9/12

الفكر الحنيف

القرءان من الهجر إلى التفعيل

الباحث

سامر إسلامبولي

الفكر الحنيف؛ القرآن من الهجر إلى التفعيل

حوار مع الباحث والمحاضر سامر إسلامبولي

عندما نرغب في الاطلاع على ما وصلت إليه الدراسات القرآنية. تستوقفنا الكثير من الأسماء كمحمد شحرور، وأبي القاسم الحاج حمد، وأحمد صبحي منصور، وطليعة من المفكرين والباحثين والكتاب، الذين جعلوا من القرآن هدفًا يبحثون من خلاله ما أصاب ثقافتنا من أزمات. وضيفنا لهذا الحوار يندرج ضمن هذا الإطار الذي انكب على دراسة القرآن بمختلف مستويات الدراسة، ومن خلال العديد من المؤلفات والكتب التي ناهزت العشرين .إنّه الباحث سامر إسلامبولي.

1- **يوسف هريمة:** الباحث الأستاذ سامر إسلامبولي. كيف تقدم نفسك لقراء الموقع؟

ج- سامر إسلامبولي

- سامر بن محمد نزار إسلامبولي ، ولادة دمشق 1963سوري الجنسية
- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي المعاصر.
- عضو في اتحاد الكتاب العرب في سوريا منذ عام 2008م
- بلغت مؤلفاتي حوالي عشرين مؤلفاً في مختلف المواضيع القرءانية من أهمها:
  - علمية اللسان العربي وعالميته
  - دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير
  - القرءان من الهجر إلى التفعيل
  - تحرير العقل من النقل
  - اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

2- **يوسف هريمة:** القارئ لمختلف كتاباتك يجدها تتمحور حول مركزية القرآن الكريم في المعرفة الإسلامية. فهل هذا يضعكم ضمن التوجه السائد لدى طائفة من المسلمين تطلق على نفسها " القرآنيون " أو أهل القرآن "؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو موقع هذا الاتجاه الفكري في الساحة الفكرية المعاصرة؟ وما هي أهم سماته وخصائصه؟

ج- سامر إسلامبولي

- جماعة القرءانيين أو أهل القرءان كما هي مشهورة هو اسم أطلقه الدكتور "أحمد صبحي منصور" على موقعه في النت ومنه اشتهر هذا الاسم في الزمن المعاصر، وتناوله الإعلام المصري وروجه، وانتشر في الوسط الإسلامي كاسم عَلَم على جماعة الدكتور، وحصل التباس في الإعلام وعند معظم المسلمين إذ عدُّو كل من يدعو للتمسك بالقرءان كمصدر تشريعي إلهي وحيد، وكمصدر للمفاهيم الغيبية الدينية هو قرءاني لوجود التماثل مع دعوة جماعة أهل القرءان في تلك المسألة، وبالتالي هو تابع لجماعة الدكتور منصور، وهذا غير صواب في واقع الحال، ورغم أن هذه الفكرة قديمة تاريخياً ولها تيارات سابقة، ولعل من أبرزها في الزمن المعاصر السابق دعوة السير " أحمد خان" الهندي،ورغم أن تلك الدعوة القرءانية مهمة جداً ومحورية في الفكر ، ورغم أن هذه التسمية مدحاً وليس ذماً إلا أننا من منطلق دعوتنا للتمسك بالقرءان كمصدر ديني إلهي؛ نقول:

إن أول قرءاني هو النبي محمد وهو أول من أسس تلك الدعوة وكان يتخذ القرءان مرجعاً في أموره الدينية ويتفاعل مع نصوصه حسب معطيات زمانه، ويتبع الأحسن مما نزل عليه، ولا يوجد عنده مراجع أخرى تحت أي مسمى يرجع

إليها بجوار كتاب الله، ولم يقدم نفسه أو دعوته إلا باسم الإسلام الحنيف كما أمر الرب في كتابه :

{قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران95

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ..}النساء125

{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }النحل123

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الأنعام161

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }الروم30

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }البينة5

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ }الحج78

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }فصلت33

فنحن نتبع الرسول ونتخذه قدوة لنا{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }الأنعام 90، ونأتسي به {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }الأحزاب21، و ندعوا إلى الإسلام الحنيف، ونسمي أنفسنا "المسلمون الحنفاء" ولا نتبع جماعة ولا حزب ولا شخص بعينه،

ولا ندعوا لبيعة أحد من البشر بيعة دينية قط، وإنما ندعوا إلى الله على بصيرة من الأمر كما أتى في القرءان: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }يوسف108، وكل إنسان مسؤول عن نفسه {بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ }القيامة14.

لذلك؛ نحن نرفض تلك التسمية لأنها توهم الحزبية والفرقة بجوار الفرق الأخرى، ونصر على التسمية القرءانية لنا وهي "المسلمون الحنفاء" وهكذا نقدم دعوتنا وأنفسنا.

– وهذا التيار الإسلامي الثقافي الذي يتحرك باسم الفكر الإسلامي المعاصر الحنيف له وجود ثقافي قوي وإقبال شديد عليه من قبل الجيل الحالي، وخاصة بعد أحداث ما يُسمى بالربيع العربي، الذي ساهم إلى حد كبير في تسريع الوعي وبدء التفكير مما أدَّى إلى فقد الثقة بالمراجع الدينية الكهنوتية لوقوف معظمهم مع السلطات الجائرة والظالمة ضد الشعوب والعدل والحريات ،وصار الجيل يفكر بنفسه وبدأ يرجع يحاكم التراث الديني الحديثي المعروف باسم الصِحاح، وهي مجموعة ما استكتب الناس من الأفهام والروايات التاريخية المنسوبة للنبي وزاحموا بها كتاب الله وصدُّوا الناس عن سبيل الحق وهي معروفة تاريخياً باسم " المثناة " كما أتى في الرواية المنسوبة للنبي :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "((من اقتراب – وفي رواية أشراط – الساعة: أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ،ويفتح القول ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها . قيل وما المثناة ؟ قال : ما استُكتِب سوى كتاب الله عز وجل)) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 6 / 774 :

و هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، يرويه عنه عمرو ابن قيس

الكندي ، رواه عنه جمع رفعه بعضهم و أوقفه بعضهم ، و هو في حكم المرفوع لأنه لا يقال بمجرد الرأي.

وهذا على صعيد الحراك الميداني بين المسلمين ، أما على صعيد الفكر الثقافي فهو يتبوأ محلاً رياديًا في الفكر وبدأ يثبت ذاته بقوة على كافة الأصعدة والعلوم الإسلامية من تدبر القرءان إلى علوم اللسان والمنطق والمعرفة و التاريخ ..الخ، وبدأت تصدر دراسات عميقة أولية تعيد تدشين أصول تدبر القرءان واللسان العربي والتاريخ وتضع النقاط على الحروف وتؤسس من معظم أتباع هذا التيار مشروع باحث مستقبلي سوف يلد ويساهم في دفع عجلة التحديث والتجديد وفق منهج القرءان الحنيف.

- خصائص المنهج القرءاني الحنيف

خطاب القرءان هو للناس جميعاً {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }الأعراف158، وهذا يعني أنه لا يوجد طبقة كهنوتية تسمى رجال دين تحتكر العلم الديني لها وتمنع الناس عن دراسته أو التعامل معه، فكل إنسان يستطيع أن يتعامل مع القرءان وفق قدراته العلمية و الفهمية وإنما العلم بالتعلم .

وكلمة حنيف من حنف وهي تدل على الميل ذات اليمين وذات الشمال وفق محور ثابت ترجع إليه دائماً مع الاستمرار بالسير إلى الأمام، وهذا منهج النبي إبراهيم وبه صار إماماً للناس حيث أنه يتحرك بين المتغيرات وفق محور ثابت ويحدث أفكاره دائماً حسب المستجدات التي تحصل معه نتيجة التطور للأمام

وفق القاعدة القرءانية المنطقية التي تقول: (ثبات الخطاب القرءاني كمبنى صوتي ومفاهيم ثابتة وأحكام مبرمة، وحركته كمعنى ومفاهيم جزئية متغيرة وحركة سلوكية متطورة وفق محور الثابت و المتغير) وهذا يوصلنا إلى وجوب القراءة المعاصرة للقرءان في كل مجتمع حسب أرضيته المعرفية المتجددة.

قد يظن بعض الباحثين أن القراءة المعاصرة للقرآن مُتسيبة لا ضوابط لها، وبالتالي فممكن أن تظهر قراءة وجودية للقرآن تنفي مصدريته الإلهية، بل تنفي الإله نفسه، وتُعَدُّ هذه القراءة رأياً لصاحبها يجب أن يُصان حسب الذين يدعون للقراءة المعاصرة! من هذا المنطلق رفضوا القراءة المعاصرة من أساسها، ومنهم من قبلها بشرط أن تُعيد تأسيس التراث وتعطيه الحياة مرة ثانية، ولست في صدد نقاش الرأيين وإنما سأكتفي بالإشارة إلى أهم الأسس التي يجب أن تقوم عليها القراءة المعاصرة للقرآن، ومن خلالها وما سبق ذكره يظهر تهافت الرأيين السابقين.

أولاً: أساس القراءة المعاصرة للقرآن ومنطلقها هو الإيمان بمصدريته الإلهية، لأن انتفاء هذه المصدرية ينفي عنه القراءة المعاصرة ويصير نصاً تاريخياً وتراثاً لمن سبق من المجتمعات غير مُلزم بقراءته.

ثانياً: النص القرآني نزل باللسان العربي وهذا يقتضي أن نتعامل معه حسب بنية اللسان العربي وقواعده الموجودة في الخطاب ذاته.

أهم مفاهيم اللسان العربي المبين

1- نشأة اللسان نشأة علمية وليست اعتباطية أو توقيفية.

2- إذا اختلف المبنى اختلف المعنى.

3- أسلوب الرمز استخدمه القرءان بشكل عربي.

4- نفي المجاز وما سُمِّي خطأً بالترادف عن اللسان العربي.

5- نظام استخدام الضمائر في القرءان يختلف عن الاستخدام الشائع بين الناس.

6- أي تغيير في بنية الجملة من زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير يؤثر بالمعنى والمفهوم.

7- العطف يقتضي التغاير.

8- العلاقة بين اللسان العربي والواقع جدلية.

9- الألفاظ العربية أجسام تقوم بها المفاهيم.

10- الألفاظ العربية حقل وميدان للتفكير.

إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة باللسان العربي.

وسأضرب مثلاً على أهمية معرفة استخدام الضمائر وعدم شرطية رجوعه لأقرب مذكور قبله.

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ } {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }الأنفال61 -62 **فالضمير في جملة (فاجنح لها) يعود لكلمة (قوة) في النص الذي سبق، لأن الضمير أتى بصيغة المؤنث،وكلمة (السَّلم) مذكر بينما كلمة (قوة) مؤنث، والمقصد هو أن أعداء الله إن ارتهبوا من قوتكم وجنحوا للسَّلم، ويكون ذلك عادة اضطراراً وليس ثقافة، فحافظوا على قوتكم الرادعة، ولا تجنحوا للدعة والراحة فتعطوا بذلك للعدو مبرر الرجوع إلى العدوان والإرهاب، لأن اتخاذ موقف السّلم من قبل العدو مناورة وليس ثقافة فيهم.**

ثالثاً: إن كتاب الله عز وجل لم تنزل مواضيعه بشكل مرتب ومتسلسل، وإنما توزعت وتداخلت ببعضها بعضاً لحكمة أرادها الله عز وجل، ومثل ذلك كمثل بنية الجسم البشري من تداخل أعضائه ببعضها بشكل منسجم وفق منظومات تحكم الجسم كله، ولا يمكن عزل أي جهاز عضوي في الجسم ودراسته بمعزل عن نظام الجسم عموماً، فوظيفة الجهاز تظهر ضمن حركته في نظام الجسم كله مع الأجهزة الأخرى مما اقتضى ضرورة أن أية دراسة للقرآن لا يمكن أن تتم على شكله الحالي كما هو معهود بطريقة المفسرين التقليدين الذين يتعاملون مع النصوص بشكل معضوض، بل لابد من فهم نظام القرءان كله الكلي واظهاره واستحضاره حين عملية ترتيل الآيات ذات الموضوع الواحد وإخراجها من القرآن نظرياً لتشكل مع بعضها منظومة واحدة وتُرتَّب أولوياً حسب منظور علمي ومن ثم تتم دراستها وفق النظام العام القرءاني والكوني، وهذا معروف بالدراسة الموضوعية للقرءان.

رابعاً: استحضار الكُلِّيات في القرآن على صعيد الآفاق والأنفس ليتم فهم الأمر الجزئي ضمن منظومته من خلال الكليات والمقاصد.

خامساً: كون النص القرآني إلهي المصدر يعني ضرورة نفي صفة الحشو واللغو والخطأ والتناقض والكذب وأية نقيصة عنه لأن ذلك يؤثر على فهمه ودراسته.

سادساً: استبعاد الفهم السطحي السريع للنص القرآني الذي يأتي من عامة الناس وما تعارفوا عليه من دلالات لاستخدام الكلام. وإنما يجب الغوص في أعماق النص لاكتشاف أغواره ومقاصده للوصول إلى الجديد والبديع في فهم النص.

انظروا مثلا لكلمة (ضرب) في نص: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً }النساء34

الكلمة في اللسان العربي لها مفهوم علمي ثابت نتيجة ترتيب أصواتها لا يتغير يحكم كل استخدام الكلمة ثقافة، ومعنى الكلمة هو ما يقصده المتكلم منها حين استخدامه لها وفق سياق معين فيظهر المعنى المادي وهو تعلق المعنى بشيء حقيقي له وجود خارج الذهن أو ممكن وجوده، ويظهر المعنى المعنوي وهو تعلق المعنى بشيء غير مادي ولا وجود حقيقي له وإنما هو شعور أو موقف نفسي أو سلوك.

إذا ؛ لدراسة الكلمة العربية ينبغي أولاً إرجاعها لجذرها الثلاثي أو الثنائي،و تحليل أصواتها المبنية منها وفق ترتيبها ذاته و تحديد مفهوم الكلمة علمياً، وبعد ذلك الانتباه إلى الكلمة محل الدراسة هل أتت بصيغة الفعل الثلاثي أم صيغة الفعل الرباعي، ودراسة الكلمة بمحلها وفق سياقها دون عزلها وحدها مع إسقاط الكلام على محله من الواقع فيتحدد معنا فوراً أن الكلمة أتت بمعنى مادي أو معنوي.

ضرب:

ض: صوت يدل على حركة دفع شديدة جداً جداً.

ر : صوت يدل على حركة تكرار حصول الشيء.

ب: صوت يدل على حركة جمع مستقر.

اجتماع هذه الأصوات الثلاثة بهذا الترتيب يوصلنا إلى المفهوم العلمي لكلمة (ضرب)وهو دفع شديد جداً مكرر منتهي بتجمع مستقر نهاية، وبعد تحديد المفهوم العلمي ننتقل إلى المستوى الثقافي الفكري الفلسفي للكلمة من خلال

السبر والتقسيم لاستخدامها في القرءان والواقع المعيشي للناس مع استحضار المفهوم العلمي للكلمة فنصل إلى المفهوم الثقافي لكلمة (ضرب)، لنرى ذلك

-ضرب الفلاح ساق الشجرة بفأسه، فعل ضرب ثلاثي متعدي إلى مفعول به يقع الفعل عليه، والسياق ومحل الكلام من الواقع يحددان أن فعل ضرب أتى بصورة المعنى المادي، وظهرت الحركة المندفعة بشدة وقوة وتكرار المنتهية بتجمع مستقر في ساق الشجرة .

-ضرب الله مثلاً للناس، فعل ضرب ثلاثي متعدي إلى مفعول به، والسياق ومحل الكلام يحددان أن فعل ضرب أتى بصورة المعنى المعنوي، وظهرت الحركة المندفعة بقوة وشدة من خلال عرض المثل للناس وجعلهم يفكرون فيه ويتأثرون بمفهومه وما يدل عليه وهذا يجعلهم يكررون التفكير فيه ليصلوا إلى معنى مجتمع مستقر في قلبهم.

فنلاحظ أن المفهوم الثقافي لفعل ضرب بصورتيه المادية والمعنوية ظهر معنا بصيغة: إيقاع شيء على شيء بقوة يترك فيه أثراً مجتمعاً مستقراً.

لننظر صيغة الفعل الرباعي كيف تأت.

أضرب :فعل رباعي مزيد وجذره هو الفعل الثلاثي (ضرب) وهذا يدل على أن مفهوم كلمة ضرب العلمي والثقافي يحكمان صيغة الفعل الرباعي، ولكن هل معنى الفعل الرباعي هو ذاته الفعل الثلاثي، والجواب هو القاعدة التي تقول: (أي زيادة أو تغيير في المبنى هو زيادة وتغيير في المعنى) والزيادة في فعل ضرب الرباعي هي صوت الألف في بدء الفعل، لنلاحظ ماذا فعلت هذه الألف في معنى فعل ضرب عندما دخلت عليه.

-أضرب العمال عن العمل احتجاجاً على طول ساعات العمل، نلاحظ أن فعل أضرب رباعي وأتى بصورة المعنى المعنوي كونه تعلق بموقف ولم يتعلق بشيء مادي محسوس، والسياق ومحل الكلام من الواقع حدد أن فعل أضرب هو فعل لازم للفاعل لم يتعداه للغير وهو اتخاذ موقف شديد جداً مكرر مجتمع باستقرار في نفسه يمنعه من العمل، وهذا يدل على أن الألف التي دخلت على الفعل الثلاثي غيرت اتجاه الفعل من متعدي للغير مثل ضرب إلى لازم للفاعل نفسه مثل أضرب، وهذا التغيير ليس شرطاً دائماً من التعدي إلى اللازم، بل يمكن العكس من اللازم إلى المتعدي، مثل نام زيد، فهذا فعل لازم، أنام زيد طفله، هذا فعل متعدي، و لاحظوا أن مفهوم فعل ضرب العلمي والثقافي حاضران ويحكمان دلالة فعل أضرب. نأت الآن لنص:

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً }النساء34

فعل اضربوهن من فعل الأمر اضرب والماضي له هو ضرب الثلاثي.

ينبغي الانتباه من هيمنة استخدام الفعل بمعنى شائع بين الناس يفرض ذاته بداية على ذهن الباحث فيضل ويتأثر به فيقول هو المعنى المراد من الكلام، بل؛ ويتجرأ ويدعي أن المعنى واضح لا يحتاج لنقاش أبداً، ويظن أن صراخه وضجيجه واستعانته بعامة الناس وما شاع فيهم هو برهان على فهمه السطحي ، بل إن أحدهم يقول لو سألت ابني الصغير لعرف أن معنى فعل ضرب هو المعنى المادي،

وهذا يقع فيه معظم الباحثين ويخرجون بأفهام عامية طفولية يعدونها دراسة للنص القرءاني.

فعل ضرب كما عرفناه ثقافياً هو إيقاع شيء على شيء بقوة وشدة يترك فيه أثراً.

هل أتى فعل ضرب للنساء في النص بمعنى مادي أم معنى معنوي؟

لننظر إلى سياق النص ومحل الكلام من الواقع، فنلاحظ أن النص يتعلق بعلاقة الرجل مع زوجته، ولا يتكلم عن حرب وقتال وضرب بين المقاتلين، وإنما يتكلم عن علاقة إنسانية مبنية على الحب والسكن والألفة والمودة، ويُراد لها الاستمرار، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }الروم 21، فهل مثل تلك العلاقة يكون فيها دلالة فعل ضرب بمعنى مادي مثل المعنى في الحرب والقتال؟ أم ضرب بمعنى معنوي مثل ضرب الأمثال؟

من الذي يحدد صورة فعل ضرب مادية أم معنوية؟

الذي يحدد صورة فعل ضرب هو السياق ومحل الكلام من الواقع ، والمنظومة التي تحكم فهم المتلقي للخطاب.

هل واقع حياة الرجل وزوجته هي ساحة حرب وميدان معركة حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل طبيعة العلاقة بين الرجل وزوجته قائمة على الكراهية و البغضاء والعدوان حتى يكون فعل ضرب بمعنى مادي؟

هل الزوجة عند الزوج هي بمثابة كائن بهيمي حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل الرجل وزوجته في حلبة ملاكمة حتى يكون دلالة فعل ضرب بصورة مادية؟

هل المقصد من الضرب هو قطع العلاقة وإنهائها حتى يكون بصورة مادية أم المقصد هو الإصلاح والاستمرار؟

هل محل العلاقة والتخاطب والتفاهم بين الرجل وزوجته هو جسمها فقط حتى يكون معنى ضرب بصورة مادية؟

هذه الأمور كلها وغيرها هي قرائن تحدد أن المعنى لفعل ضرب في النص هو معنوي وليس معنى مادياً قط، وما ينبغي أن يكون كذلك.

والمعنى المعنوي لفعل ضرب بالنص هو توجيه كلام قاسي وليس فاحشاً ولاشتماً إنما هو نصائح وتوعية ومعاتبة وتوبيخ ومرافقته بموقف شديد ممكن يتحول لإضراب في العلاقة مع المرأة يؤثر بنفسية المرأة وتفكيرها ويجعلها تراجع موقفها وتعود لوعيها وزوجها وأسرتها وتدخل في العرف الأسري والاجتماعي.

سابعاً: الآفاق والأنفس هما السكة التي يمشي عليها العقل لمعرفة ودراسة عمق النص القرآني من خلال إسقاط الدال (النص) على المدلول عليه (محل الخطاب من الواقع).

ثامناً: إن فهم النص القرآني يتطور مع تطور الأدوات المعرفية وبالتالي يؤدي إلى اتساع أفق وأبعاد النص ضمن الجانب الثابت فيه كآفاق وأنفس.

تاسعاً: يجب الانتباه إلى مفهوم الرمزية في الاستخدام القرآني للكلمات لأن إغفال ذلك يجعل مفهوم النص باهتاً هزيلاً و مُغيّباً عن الواقع.

وهذا مثال لتوضيح كيف يتم استخدام المفهوم الرمزي من خلال ترتيل الآيات ذات الموضوع الواحد والآيات التي استخدمت الكلمة ذاتها بعدة دلالات بجانب معرفة الوظيفة التي يمكن أن تنتقل من الشيء المذكور صراحة في النص إلى المغَيَّب ما وراء الألفاظ من مقاصد.

قال تعالى: «والشجرة الملعونة في القرآن» الإسراء 60.

النظرة السطحية للنص واستدعاء دلالة كلمة «شجرة» من عوام الناس والتأثر بالتراث نقول: إن الشجرة من النبات! ولكن إذا تعمقنا قليلاً في النص نلاحظ أن النص يذكر شجرة ملعونة في القرآن مما يعني وجود اسم هذه الشجرة وصفتها في القرآن ذاته! وإذا بحثنا في القرآن ولم نجد شجرة نباتية قد نص الخالق على لعنها نعلم عندئذ أن ليس المقصود بكلمة شجرة هو المعنى المستخدم بين عامة الناس وإنما المقصد معنى آخر لكلمة شجرة تدل عليه بدلالتها اللسانية.

إذاً؛ لابد من استخدام الفهم العميق واستحضار النصوص الكلية من القرآن المتعلقة بالموضوع ذاته فنلاحظ أن فعل اللعن لا يمكن في الواقع أن يكون إلا لعاقل، وكون الأمر كذلك مما يؤكد ضرورة أن كلمة شجرة ليس المقصود بها في النص النبات، وإنما المقصد هو دلالتها اللسانية التي تدل على تداخل الشيء ببعضه بعضاً أو مع غيره، ومن ذلك نقول: الشجار الذي هو تخاصم الناس فيما بينهم، وسُميت الشجرة كذلك لأن أغصانها تتداخل مع بعضها بعضاً، و أطلقت كلمة شجرة على تداخلات وعلاقات العائلة أصولاً وفروعاً (شجرة العائلة).

وإذا تابعنا البحث عن الشجرة الملعونة في القرءان نجد أنها شجرة اليهود، بمعنى العلاقات الاجتماعية اليهودية، وبالتالي أي مجتمع يتشاجر مع اليهود تصيبه اللعنة ضرورة، لأن الفساد الاجتماعي عدوى، وأي مجتمع يقوم على علاقات فاسدة وظالمة في بنيته ومؤسساته هو شجرة ملعونة.

عاشراً: ينبغي على المجتمع الإسلامي أن يُعيد تنزيل القرءان في زمنه وفق اتباع الأحسن والمناسب لمعطيات زمكانيته ويصلح به حاله. {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم

مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }الزمر55 {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }الزمر18

أحد عشر: الحكم في القرءان لله وذلك فيما هو خاص به من الأمور الثابتة التي لا تخضع للتطور المعرفي، وترك ساحة كبيرة لحكم الإنسان كمجتمع يتحرك وفقها حسب محور حكم الله ، وذلك ليواكب التطور ويغطي المستجدات ويمارس دوره كخليفة في الأرض.

ومن هذا الوجه ظهرت القاعدة الأصولية:الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص القرءاني أو مادل عليه النص استنباطاً أولياً، والحرام مقيداً بالنص ،ولا يطبق الحلال إلا مقيداً بعرف المجتمع أو نظامه.

3- **يوسف هريمة**: تعاني الدراسات القرآنية قديماً وحديثاً من إشكالية المنهج. وبالنظر إلى مجموعة من الكتابات التي تناولت فيها مسألة القرآن الكريم اقترحت منهجاً من خلاله يتم مقاربة النص القرآني. فما هي الخطوات التأسيسية لهذا المنهج؟ وما الذي يميزه عن غيره من المناهج المقترحة خاصة منهج شحرور وإبراهيم بن نبي؟.

ج- سامر إسلامبولي

كل كتاب علم أو هدى لابد له من مفاتيح لاستخدامها لفهم محتوى الكتاب، وعادة المؤلف ينوه على ذلك في بدء كتابه ويحدد المصطلحات حتى يتم فهم كتابه، وكتاب الله ليس بمنأى عن ذلك فمفاتيحه داخله وليس خارجه ولا توضع وضعاً حسب هوى القارئ له، وهذا يعني أن أول عمل يقوم به الباحث هو العلم بمفاتيح القرءان ويحددها ويستخرجها من القرءان ذاته حتى يستخدم كل مفتاح للباب الذي يريد الولوج منه.

نزل القرءان بلسان عربي مبين وهذا يدل على أن اللسان العربي المبين هو مدخل رئيسي لدراسة كتاب الله ولا يوجد مدخل آخر سواه، وهذا يقتضي العلم بقواعد اللسان العربي المبين الذي نزل به القرءان الحكيم، وقد عرضنا بما سبق أهم القواعد التي اعتمد عليها القرءان وهي قواعد كونية علمية أهمها قاعدة (إذا اختلف المبنى اختلف المعنى والمفهوم ضرورة) وتظهر أهمية القاعدة من سوء تطبيق معظم المسلمين لنص عقوبة السارق كمثل على ذلك {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }المائدة38، قام معظم الباحثين بتحريف مبنى الكلمة كله واستبدلوه بكلمة أخرى وهي (ابتروا) أثناء التطبيق ظناً منهم أن المشرع يقصد بكلمة (اقطعوا) يعني (ابتروا) وقالوا: هذا ترادف بينهما ولم يختلف المعنى ، والنتيجة؛ انظروا كم يد بترت خلال التاريخ ظلماً وعدوانية وجرماً وهمجية نتيجة سوء فهم لقاعدة لسانية عربية كونية قرءانية وهي موجودة في القرءان ذاته ولكن معظم الباحثين لا يعتمدون في دراستهم على القرءان وإنما على المثناة ويهجرون القرءان، والنتيجة فهم خطأ وسلوك إجرامي همجي يتحمل وزره هؤلاء الذين يحرفون كلام الله عن موضعه.

وأجاد وأحسن الدكتور "محمد شحرور" في عرض دراسة منهجية وأسس لقراءة معاصرة للكتاب الحكيم لدرجة كبيرة ومتقدمة، وأثناء دراستي لمنهجه وتبنيه له ظهر معي نقطة منهجية لسانية مهمة جداً لتكمل المنهج اللساني عند الشحرور وهي ما أودعته في كتابي "علمية اللسان العربي وعالميته" وهي أن نشأة الأصوات العربية هي نشأة علمية وهي اكتشاف وليس وضعاً ولا اصطلاحاً ولا اختراعاً، وهذا يعني أن الأصوات العربية لها مفهوماً فيزيائياً وليست مجرد أصوات اعتباطية، ولو كانت كذلك لكان الخطاب المؤلف منها اعتباطي يتعامل الناس معه

اصطلاحاً حسب ما يرون ، وبالتالي ممكن أن يتغير المعنى والمفهوم للفظ اصطلاحاً مع الزمن ، والذي يقول: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى يلزمه القول بنشأة اللسان العربي علمياً وأن أصواته لها مفهوم فيزيائي، وبذلك أعطى للقاعدة صحتها من حيث اختلاف المبنى يؤدي إلى اختلاف المعنى، لأن نفي المفهوم عن الأصوات يجعل كل صوت مثل أي صوت، وبالتالي يحل أي صوت محل أي صوت وتكون القاعدة المذكورة باطلة لاقيمة لها ويصير كتب مثل بتك، ولا فرق بينهما ذاتياً وإنما الفرق بينهما اصطلاحياً في الذهن فقط، لذلك لايصح منطقياً القول بالقاعدة ونفي صفة العلمية عن نشأة اللسان العربي ونفي المفهوم عن أصواته، فهما متلازمين مع بعضهما، والقول بأحدهما هو لازم للآخر لا ينفك عنه .

وكذلك أسلوب المجاز في اللغة الاعتباطية هو تجاوز الحقيقة لتَعَذُّرِها إلى معنى يفترضه المتكلم، وهذا التَّعذر هو نتيجة عجز المتكلم ومحدودية قدرته في تصوير الحدث بلفظ يدل عليه حقيقة؛ والله منزه عن العجز، وهو على كل شيء قدير، وأسلوب خطاب الله في استخدام اللسان العربي يختلف تماماً عن أسلوب الناس، والفرق بينهما مثل الفرق بين الخالق والمخلوق، وكل فعل يأخذ صفة فاعله ضرورة من حيث التمام والكمال، وكلام الله وحديثه حقّ وصِدْق.

ولو فهم الباحثون الذين يقولون بالمجاز في القرءان الفكرة السابقة أن الأصوات لها مفاهيم فيزيائية مما يعني أن الكلمة لها مفهوم لساني ثابت حقيقي موضوعي خارج الذهن ، ولها معاني لامتناهية تظهر من خلال السياق محكومة بالمفهوم الفيزيائي لما قال أحد منهم بالمجاز في القرءان قط.

قال المعرّي: **لا تُقيّد عليَّ لفظي فإني ....مثل غيري تَكَلُّمي بالمجاز!**

وهذا مثل على بطلان القول بالمجاز

{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}الفتح (10)

قالوا : إنَّ كلمة اليد هي جارحة وتطلق على الله مجازاً، ويقصد بها القدرة.

والصواب أن دلالة كلمة يد تدل على القوة الممتدة التي تطول الشيء، و السيطرة والإمكانيات والأدوات، ويكون ذلك في الإنسان ومن مثله متحققاً في جارحة لامتلاكه لها، بينما الله ليس كمثله شيء، فنثبت المفهوم الحقيقي لدلالة كلمة اليد فقط دون تخيل لجارحة لأنها أداة المخلوق،انظر قوله تعالى:

-{ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}البقرة(237)

-{وَهُوَ الَّذِيَ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}(الفرقان (48)

- {قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ}(ص (75)

-{وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}(الذاريات (47)

والنص القرآني استخدم التمثيل والتشبيه نحو قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً}(الجمعة(5)، {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}الأعراف (176)، { أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}(الأعراف (179) وهذه الكاف معروفة بأنها كاف التشبيه، ولا تفيد التطابق بين الاثنين بخلاف ما لو أزلناها وقلنا: زيد حمار أو كلب، فهذا يدل على أن زيداً نفسه حمار، والواقع خلاف ذلك، فزيد ليس حماراً،مما يعني أن هذه المقولة باطلة من حيث الواقع، ولا يصح استخدامها، لذا؛ لم يأت هذا الاستخدام في التنزيل الحكيم قط، وإنما أتى أسلوب التشبيه المحدد بصفة{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً}، ولو انتفى التحديد لانتفى التشبيه لاحتماله أكثر من صورة، فهل هو كالحمار بصبره أو ببلادته؟ فأسلوب التشبيه المحدد هو

للصفات وليس للذوات، وبالتالي هو مفهوم حقيقي وليس مجازاً، ولا يصح الإتيان بغير خطاب التنزيل الحكيم شاهداً أو برهاناً، لأن كلام الناس كائناً من كانوا لا يخلون من العجمة في خطابهم لزوماً.

المجاز والاعتباط والاصطلاح وتطابق المعنى رغم اختلاف المبنى صفات للسان العربي القومي الذي يستخدمه الشعراء والأدباء فهو لغو الشعراء .

شاع في الآونة الأخيرة فكرة إن الخطاب القرءاني كله رمزي وذهب بعض الأخوة في دراسة النصوص بهذا الشكل متجاوزين المعنى الحقيقي وتعلق الخطاب بالواقع إلى مفاهيم رمزية ،وفرَّغوا الخطاب من محتواه التكليفي، فهل فعلاً الخطاب القرءاني كله خطاب رمزي وهو المستوى المطلوب الوصول إليه بالدراسة و التدبر؟

رمز: كلمة تدل على اجتماع شيء متصلاً ببروز بشيء آخر، وثقافياً هو استخدام كلام معين ليدل على مجموعة من المعاني اللازمة لها منطقياً وليس لسانياً، مثل لزوم الحياة للماء، فالماء رمز للحياة، وهذا ليس معنى لساني لكلمة الماء وإنما مفهوم منطقي نصل إليه من خلال تجاوز المعنى اللساني إلى متعلقاته بالواقع، والمتعلق بالماء لزوماً هو الحياة، فيكون المفهوم الرمزي للماء هو الحياة ، وكما نلاحظ أن المفهوم الرمزي من حيث المآل لا يخرج عن الحقيقة أيضاً والواقع، بل؛ لابد له من واقع موجود حقيقي يتم تعلق الكلام الرمزي به.

{قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ }آل عمران41، فالنص يدل صراحة على أن الرمز هو أسلوب من أساليب الكلام المختصر العميق المعنى ويحتاج إلى تدبر وتجاوز المبنى اللساني ومعناه الحرفي إلى مفهوم مقصدي لازم يتعلق بالمبنى والمعنى اللساني بشكل منطقي مثل تعلق الحياة بالماء.

والأسلوب الرمزي في الخطاب كما هو ملاحظ متعدد الفهم وغير محكم لاحتمالية تعلقه بأكثر من شيء في الواقع فهو نص متشابه وليس نصاً محكماً، وهذا يعني أن الخطاب التشريعي مثل: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }النساء23، ونص الوصايا العشرة، و الخطاب الإيماني المتعلق بوحدانية الله، مثل: {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }البقرة255، لا يمكن أن يأتيا بأسلوب الكلام الرمزي لأن الخطاب التشريعي هو خطاب تكليفي يتعلق بتنظيم سلوك الناس والحرام والحلال والواجب، والخطاب المتعلق بوحدانية الله يتعلق بالحق والباطل، ويترتب عليه الحساب والمسؤولية، وهذا لابد له من خطاب محكم واضح محدد، وهذا مقتضى الحكمة و الرحمة، ولو أتى بأسلوب الكلام الرمزي لبطل الثواب و العقاب، وضاع الحق واختلط بالباطل، وانتفى الحساب لاحتمالية النص لأكثر من مفهوم ممكن تعلقه بالواقع، ولو تعلق به الحساب والتكليف لانتفى عن المشرع الحكمة و الرحمة وصار الفعل عبثاً وظلماً، وصار الخطاب متميعاً وممكن يدل على كل شيء في كل زمن وانتفى عنه المفهوم الثابت، وصار متحركاً نسبياً يصلح لتحميله أي مفهوم ولا يدل على أي مفهوم

بعينه ، وحقيقة هذا الأسلوب هو نقض للخطاب القرءاني التشريعي والخطاب الإيماني.

إذاً؛ أين الخطاب القرءاني الرمزي في القرءان؟

بعد أن استثنينا الخطاب التشريعي والخطاب الإيماني من أسلوب الرمز نصل إلى أن أسلوب الكلام الرمزي ممكن أن يأت بالنصوص القصصية وهي مادة كبيرة في القرءان ولا تتعلق بأحكام تشريعية ولابنصوص إيمانية متعلقة بوحدانية الله، ورغم أنها ممكن تنفهم بشكل رمزي وهو بُعد في مفهوم النص وتدبره ولكن لا ننفي عنها المعنى اللساني، وهي تقبل التعدد في الأفهام لأنها من النصوص المتشابهة ولا يترتب عليها محاسبة لعدم تعلقها بحقوق الناس كدماء وأعراض وأموال...الخ، ولا تتعلق بحق أو باطل.

ونجد أيضاً أن أسلوب الرمز يتعلق بنصوص الرؤيا والمنام، بل؛ لا يمكن أن نتدبر نصوص الرؤيا أو المنام إلا بأسلوب الرمز وتجاوز المعنى اللساني الظاهري للرؤيا ، اقرؤوا: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ }يوسف43، لو حاولنا أن نفهم هذا النص المتعلق بالرؤيا لسانياً على ظاهره لما استطعنا فهمه أبداً، وهذا يدل على أن هذه النصوص متشابهة ومتعددة المفهوم ولا تُدرس أو تُفهم إلا بأسلوب الرمز حصراً.

ونجد أيضاً أن أسلوب الرمز في الكلام يتعلق بنصوص علمية كونية وهي نصوص متشابهة متعددة الأفهام نسبية الحركة حسب المستوى العلمي والمعرفي والأدواتي للناس، ومجيئها بأسلوب الرمز لاينفي حقيقة المفهوم اللساني عنها.

إذاً؛ الخطاب التشريعي والخطاب الإيماني من النوع المحكم في الخطاب ولا يصح دراستهما بأسلوب الرمز قط، ولا ينطبق عليهما قاعدة (ثبات المبنى والمفهوم وتحرك المعنى و المحتوى)، بخلاف الخطاب القرءاني المتعلق بالقصص والرؤيا المنامية والعلمية الكونية فهم من النوع المتشابه مع وجود نصوص محكمة بالمفهوم والمعنى تكون محوراً ثابتاً يُستخدم في دراسة النصوص المتشابهة النسبية، وممكن أن نطبق عليهم أسلوب الرمز الكلامي أثناء دراستهم.

لذا؛ ينبغي على الأخوة الذين يعتمدون على أسلوب الرمز في دراسة الخطاب القرءاني كله أن ينتبهوا إلى هذه القواعد ويميزوا بين الخطاب الذي يمكن أن يُدرس رمزاً، والخطاب الذي لا يصح دراسته رمزاً.

والباحث الذي يكتب باسم "إبراهيم بن نبي" في معراج القلم انفرد عن التيار القرءاني إلى أقصى التطرف بقوله: إن الخطاب القرءاني كله رمزي ومفاهيم ، ولا يوجد فيه أحكام و لا تاريخ ولا أحداث، وعد أن الرسم القرءاني وحي من الله حتى بطريقة رسم الحرف له بطن أم لا، ومائل أم مستقيم...الخ، والتشكيل والرسومات فوق الأحرف التي تشبه الطيور والدوائر وغيرها كلها وحي من الله ولها دلالات يدرسها مع دلالة رسم الكلمات والمعاني، وأتى بمفاهيم عجيبة وغريبة فرغ فيها كل معاني الأحكام والعبادات الشعائرية من محتواها، أما ما أصاب به فهو موجود في المنهج القرءاني أصلاً ومعروف قبله، فلا أعده أتى بجديد قط أو يملك منهجاً خاصاً به أو أضاف شيئاً للفكر الإسلامي مع توفيقه بعرض كثير من القضايا الجزئية بشكل جميل ومبدع .

فالمنهج الذي أتبناه هو دراسة القرءان بالقرءان وفق اللسان العربي المبين الذي نزل به ومفاتيحه داخله وليس خارجه،وكلمات القرءان صوتياً لها مفاهيم

فيزيائية خارج القرءان كجذور تحكم الاستخدامات والمعاني أينما أتت وبأي كيفية أو اشتقاق، ونصل للمعنى من خلال إسقاط الخطاب على محله من الواقع محل الكلام ودراسته وفق محور الثابت و المتغير بحركة حنيفية ضمن المنظومة العامة للكون والقرءان دون عضوضة لأي نص من سياقه أو محله، والإتباع للأحسن والأنفع في التشريع و الأحكام ضمن المحكم، والقرءان كتاب هدى للناس، والرسالة هدى للمتقين.

4- **يوسف هريمة:** سبق وأن قمتم بنقد مجموعة من المناهج التي تسمونها مقاربات حداثية كالتي قام بها الطيب التيزيني ومحمد عابد الجابري. كيف تقومون هذه المقاربات؟. وكيف تجيبون عن سؤال الأولوية بين النص والواقع؟.

ج– سامر إسلامبولي

المشروع الجابري والآركوني والتيزيني ثلاثتهم كتبوا ودرسوا الإسلام خارج القرءان من الروايات والتراث وكأنه لا يوجد للإسلام مصدر رئيس أولي يدل عليه ويكون مرجعاً لهم، لذلك نجد الثلاثة أثبتوا تحريف النص القرءاني بشكل من الأشكال ونفوا عنه قداسته كمبنى وطالبوا بدراسته كنص بشري.

وعندما يكون الأمر كما قلت لم يعد لدراستهم أي فائدة مرجوة على أرض الواقع للباحثين المسلمين الجادين ، لأن دراستهم صارت استشراقية ومصدر لكل من يريد الطعن بالقرءان.

أما جدلية النص والواقع فينبغي تحديد دلالة كلمة النص أولاً، يقصد بالنص النص القرءاني فقط ولا قيمة لأي نص من كلام البشر صدر من أي كائن كان فهو ليس محل دراسة أو تدبر ولا يصلح لأن يكون مصدراً أو برهاناً على شيء، وبما أن النص هو النص القرءاني فبداية نؤمن به أنه كلام الله أو رسالته ، والواقع

هو من خلق الله، وبالتالي التطابق والانسجام بين الكلام والفعل واجب إيماني وضرورة واقعية، وعندما نفهم رسالة الله وكلامه وفق المنهج القرءاني العربي الحنيف الذي يتحرك وفق محور الثابت و المتغير ينتفي إشكالية علاقة النص مع الواقع المتغير لأن النص يقوم على الثبات في المبنى والمفهوم اللساني، وحركة المحتوى وفق الحنيفية ليواكب المتغيرات والمستجدات.

5- **يوسف هريمة:** هل القرآن الكريم نص صالح لكل زمان ومكان؟ وما حدود الثابت والمتغير فيه؟ وكيف يمكننا أن نقنع الآخر المختلف عقديا بأن هذا النص من عند الله؟

ج- سامر إسلامبولي

- مفهوم صلاحية القرءان لكل زمان ومكان يتأتى من الإيمان بالله أولاً وبإخباره بصلاحية كتابه لكل زمان ومكان، فهو أخبر أنه أنزل كتاباً جامعاً ومكملاً لما سبق وختم النبوة ببعث محمد ، وأعطى الإنسان مفاتيح الخلافة ليقوم بالاعتماد على نفسه ورفع الوصاية المباشرة عنه ، ويأت دور الإنسان ليتأكد فعلاً إن القرءان صالح كما قال الرب له، وهذا تحت متناول قدرة الإنسان الفهمية والعقلية والعلمية، كل من يدرس القرءان يخرج معه مجموعة من القيم والأخلاق الإنسانية الثابتة مثل الصدق والأمانة... ، ويخرج معه الوصايا العشرة مثل لا تسرق لا تقتل لا تزني....ويخرج معه أحكام متعلقة بحفظ الأسرة ووشائجها مثل بر الوالدين والعناية بالأولاد ، وتحريم نكاح المحارم لحفظ روابط رحم الأسرة وتلاحمها مع بعضها ، فأي من هذه الأمور لا تصلح لزمننا هذا أو الزمن القادم؟

هل سوف يأت زمن ويطالب الأبناء بنكاح أمهاتهم مثلاً لأن تحريم نكاحهم حكم همجي متخلف؟

هذا يدل على أن إشكالية أن الإسلام غير صالح لكل زمان ومكان هي شبهة وهمية مختلقة لا أساس لها في الواقع.

ناقشني مرة ملحداً وتبجح بطعنه بالقرءان.

قلت له : ألا تؤمن بشيء من القرءان؟

قال: أبداً أكفر بكل ما جاء فيه .

قلت: ألا تؤمن بالوصايا العشرة؟

قال: وما هي الوصايا العشرة؟

قلت : لا تستخدم اسم الله لتبرير إجرامك واستعباد الناس، ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل ولا تأكل مال اليتامى...الخ

قال: هذه أحكام إنسانية الجميع يقول بها !!

قلت: ومن قال لك إن أحكام القرءان فضائية غير إنسانية ؟

وهل تنكح محارمك أم تمتنع عن ذلك؟

وهل تلتزم بالقيم و الأخلاق أم أنت فاسد ومجرم ؟

قال: هذه أحكام إنسانية وأنا ألتزم بها .

قلت: كيف تلتزم بكل أحكام القرءان وتقول أنت كافر به ولا تؤمن بأي شيء منه؟

قال: قلت لك أنا التزم بها ليس من إيماني بالقرءان وإنما من منطلق إنساني.

قلت : أنت مسلم سلوكياً وتؤمن بمضمون القرءان وتنكره بلسانك وضال قلبياً، الإسلام دين يخاطب الفطرة ومنسجم مع الإنسانية ويهدي للتي هي أقوم، أنت مسلم بسلوكك وملحد بفكرك بسب ضلالك وجهلك.

- مفهوم الثابت و المتغير له مستويين:

المستوى الأول متعلق بنظام الكون كآفاق وأنفس وهو يقوم على الثابت و المتغير، فما كان ثابتاً في الواقع يأت النص يخبر عن ثبوته، وما كان متغيراً في الواقع يأت النص يخبر عن تغيره، مثلاً:

– جعل الماء أساس للحياة أمر ثابت في الواقع وقد أخبر القرءان عن ذلك، {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }الأنبياء30

– قانون الحركة ثابت بالواقع وأتى القرءان وأخبر عن ذلك ، {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }الأنبياء 33

– قانون الثنائية و الزوجية ثابت في الواقع وأتى القرءان وأخبر عن ذلك، {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }الذاريات49

هذه القوانين ثابتة لا تتغير ، ويوجد قوانين متغيرة احتمالية متعلقة بجزئيات مثل نزول المطر في بلد دون أخرى أو موت إنسان في مرحلة عمرية معينة بسبب مرض أو غيره، أو هلاك المجتمعات.

المستوى الثاني متعلق بطبيعة بنية التشريع فهو أتى بالثابت فقط ونص عليه كحدود يمنع تجاوزها صعوداً إن كانت متعلقة بالعقوبات مثل القاتل يقتل هو فقط ولا يجوز قتل غيره معه من أسرته أو بديلاً عنه مع السماح بالنزول نحو التخفيف والرحمة والعفو، ويمنع تجاوزها نزولاً إن كانت متعلقة بنظام المجتمع وعلاقاته مثل تحريم نكاح المحارم المنصوص عليهم فلا يجوز حذف أي أحد منهم نزولاً ويجوز الزيادة عليهم منعاً نحو توسيع دائرة العلاقات والأرحام. فهذه الحركة الحدودية في التشريع هي التي تحفظ ثبات الأحكام القرءانية وتسمح بالتحرك نزولاً في العقوبات، وصعوداً في العلاقات الاجتماعية لتغطي المستجدات و المتغيرات ، وكل ذلك على محور الثابت و المتغير وفق منهج عربي حنيف.

6- **يوسف هريمة:** تحذر كثيراً من الروايات الثقافية المنسوبة للنبي محمد. وتعدها أحد الأزمات الأساسية في الفكر الإسلامي. فما هو مفهوم السنّة لديك؟ وهل هناك فرق بينها وبين الحديث؟. وكيف ترد على من يقول بعدم إمكانية قيام الدين دون الجانب الروائي خاصة في مسألة الصلاة والحج وغيرها؟.

ج- سامر إسلامبولي

مفهوم السنة والحديث من المفاهيم الهامة في الثقافة الإسلامية، فقد استخدمهما المسلمون بشكل مندمج بينهما دون تفريق، مما صار مع الزمن الحديث يعني السنة، والعكس أيضاً، فعلى ماذا يدل كل منهما لساناً؟

السنة: هي الطريقة الثابتة. ومن هذا الوجه فهي تدل على الأعمال أو المنهج فقط، ولا علاقة لها بالحديث أو بالقول. انظروا قوله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }آل عمران137، وقوله:{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }الفتح23.

الحديث: هو قول جديد.

هذا هو مفهوم كل من كلمة السنة والحديث لساناً، أما الاصطلاح فهو شيء خاص بمن اصطلحه ليدل على استخدامه له، نحو مصطلح علماء الأصول، والفقهاء ، والمحدِّثون، وعلماء السيرة، والإمامية...الخ، وهي مصطلحات معروفة لأي طالب علم في الشريعة، وهي غير ملزمة لأحد، وليس لها أي صفة علمية قط.

والذي يُعَوَّل عليه في دراسة مفهوم السنة والحديث هو اللسان العربي والقرءان فقط، وقد عرفنا مفهومهما لساناً، ونأتي الآن لاستخدام القرءان لهما، وندرس

هل استخدمهما بالمفهوم اللساني فقط ؟ أو حصرهما بصورة من صور المفهوم اللساني وصارا اصطلاحين شرعيين مثل مفهوم الصلاة والحج؟

نلاحظ من خلال ترتيل النصوص القرءانية أن كلمة السنة والحديث لم يُستخدما إلاّ بالمفهوم اللساني لهما فقط، ونلاحظ أن السنة والحديث لم يُضافا في القرءان للنبي قط، وإنما تعلَّقا بالله نحو قوله تعالى :{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }الأحزاب62، وقوله{اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً}النساء87،وقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} الكهف6، إذاً؛ يوجد حديث الله، وهو القرءان الذي أنزله على نبيه، ويوجد سنة الله، وهي طريقة الله في الخلق على صعيد الآفاق والأنفس، وهذا يدل على أن القرءان لم يُعط أي أهمية تشريعية أو مصدرية لسنة النبي أو حديثه!، وهذا يُفسر لنا نهي النبي عن كتابة غير القرءان، ويفسر لنا غياب مفهوم سنة النبي أو حديثه في المجتمع الأول الذي زامن نزول الوحي، فقد كانوا يعتمدون على القرءان فقط، ويُفسر لنا غياب معظم أحاديث العهد المكي، وغياب معظم خطب الجمعة التي ألقاها النبي في المدينة لفترة ثمانية سنوات تقريباً!، وبعد وفاة النبي كان الصحابة يردّون أي حديث يُنسب له إلى القرءان ليعرفوا مدى صوابه لعلمهم أن النبي يستحيل أن يخالف ما نزل عليه من الوحي، ويفسر لنا لماذا لم يأمر النبي بكتابة حديثه، بل؛ لماذا نهى عن كتابته!، ولماذا أهمل الصحابة الكبار الخلفاء الأربعة مادة الحديث رواية وكتابة، بل ومشهور عن عمر أنه كان ينهى الناس عن الاشتغال برواية الأحاديث، وخاصة أبو هريرة، ويأمرهم أن يشتغلوا بالقرءان فقط.!

تعالوا ننظر إلى هذه النصوص القرءانية وعلى ماذا تدل:

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ }الجاثية6

{فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ }القلم44

{قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ }الأنبياء45

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }النساء82

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }الأنعام19

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً }الإسراء46

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً }الفرقان30

{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ }النمل92

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }فصلت26

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }يونس15

هل تجدون أيها الأفاضل فيما سمعتم أو قرأتم من النصوص القرءانية ذِكراً لسنة النبي أو حديثه؟ أو أن الأمر كله يتعلق بحديث الله ووحيه و قرءانه، والأمر بإتباعه والالتزام بمضمونه؛ حتى النبي نفسه ملزم بإتباع الوحي وليس له أن يبدّله أو يتجاوزه أبداً.

وبناء على ما ذكرنا آنفاً نتساءل هل يمكن أن يُلزمنا الله بشيء لم يذكره في كتابه؟ وهل يمكن أن يلزمنا الله بإتباع شيء لم يحفظه لنا، وأصابه التحريف والكذب ؟ هل يمكن أن تكون الطاعة لرجل ميت؟ كيف لميت أن يقود الأحياء ويأمرهم وينهاهم!؟ أسئلة كثيرة ومثيرة لإعادة التفكير بمصدرية سنة النبي وحديثه في التشريع الإلهي.

تعالوا أيضاً لنرى مَن رسّخ أن سنة النبي أو حديثه وحي من الله مع القرءان؟

افتحوا كتاب الرسالة للشافعي واقرؤوا شرحه لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة2، قال: الحكمة هي سنة النبي. وتلقفها معظم المسلمَين من بعده وكأنها سر عظيم أو فتح كبير، وانتشرت في التراث والثقافة كانتشار النار في الهشيم، ولم يناقش قوله أحد وكأنه تنزيل من رب العالمين!، ومن المعروف أن الحكمة كانت موجودة لغيره من الأنبياء والحكماء اقرؤوا قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }لقمان12، فهل أوتي الأنبياء والحكماء السابقين سنة النبي أو حديثه!؟

اقرؤوا قوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }النحل125، وقوله: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }البقرة269، ألا تلاحظون أن الحكمة هي منهج عقلاني يتعلق بالتعامل مع الأحداث وفق نظام الأحسن والأنفع بأقل الخسائر الممكنة، وبمعنى آخر هي وضع الشيء في مكانه المناسب للحصول على أحسن النتائج .

والحكمة يمكن أن تُؤتى لغير الأنبياء، وهي اكتسابية يملكها الإنسان من خلال

التعلم والتفكر وإسقاط الأمور على واقعها لمعرفة مدى صلاحيتها، والآن انظروا قوله تعالى{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً }الأحزاب34، لاحظوا أن فعل (يُتلى) أتى في النص مرة واحدة ليشمل آيات الله والحكمة معاً بالمستوى ذاته، وهذا يدل على أن الحكمة من كتاب الله ويجب على نساء النبي أن يتلونها مع آيات الله المتعلقة بالبينات والقصص والوحدانية، والحكمة هي الآيات المتعلقة بالأحكام، وهي المنهج الضابط لإنزال الأحكام على الواقع الاجتماعي.

فما علاقة الحكمة بسنة النبي أو حديثه!؟ الحكمة كمنهج موجودة في ثنايا النصوص القرءانية ويستطيع الدارس والمتدبر أن يستخرجها ويستخدمها في دراسة النصوص المتعلقة بالأحكام.

أيها الناس! إن جعل السنة والحديث النبوي مصدر تشريعي إلهي؛ كان السبب في الاختلاف، وسفك الدماء، وتكفير الناس بعضهم بعضاً، لأن لكل طائفة أو جماعة حديثها ومرجعها، وما يصح عند فئة لا يصح عند الأخرى، ولا يجمعنا إلا العودة للقرءان، فهو حبل الله المتين، وهو كتابه المبين، ونور من الله للناس أجمعين.

وسوف نستعرض أهم الشبهات التي يشهرها مَن يقول بحاجة القرءان للحديث النبوي، ولولا الحديث لهلك القرءان.!

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }النحل43- 44.

أخذ معظم المسلمين كعادتهم مقطعاً من هذه الآية وهو{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} وفصلوه عن سياقه، وبنوا مفهوماً خطيراً منه؛ ألا وهو أن الحديث النبوي مُبيِّن للقرءان، بل وتجرؤوا فقالوا: ما أحوج القرءان للحديث، ولولا الحديث لهلك القرءان!، وربما صاغوها بمقولة أخرى وهي: القرءان أحوج للحديث من حاجة الحديث للقرءان. وكِلا المقولتان ضيزى!.وإذا أرجعنا الجملة إلى سياقها في النص، نجد أن النص ذاته مرتبط بالنص الذي قبله، ولا يتم المعنى إلا بهما معاً.

نجد في النص الأول كلمة (أَهْلَ الذِّكْرِ) وهم أهل العلم في كل اختصاص ومنهم العلم بالكتب الإلهية السابقة، وأتت كلمة (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) في النص الثاني لتدل على القرءان الذي نزل على محمد ، وبَيَّن سبب نزول القرءان بقوله: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ(، فالذي نُزِّل للناس هو التوراة والإنجيل وغيرهم إن وُجد، والذي يقوم بالتبيين للكتب السابقة هو القرءان ذاته الذي طُلب من الرسول أن يتلوه على الناس ليستخدموه في تبيين الكتب الإلهية من خلال عملية الدراسة لها، و دل على ذلك قوله: (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .(فالتبيين موجه للكتب السابقة وليس للقرءان، لأن القرءان كتاب مُبين بذاته{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}الشعراء 193- 195، والقرءان برهان ونور من الله{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً} النساء174، {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} الزخرف4، فكتاب يصفه الله بالمبين والبرهان والنور والهدى والحكيم كيف يحتاج إلى مَن يبينه؟ كيف يحتاج النور إلى مَن يُنيره؟

فالمصدر التشريعي للدين هو القرءان فقط ولا يوجد معه أي مرجع يشاركه في ذلك ، وما يذكره أتباع المثناة كمثل لنقض الفكرة تلك، وهي هيئة الصلاة والحج هو خلط وتدليس ، لأننا نتكلم عن المصدرية التشريعية وليس عن حالة تعليمية تفصيلية متعلقة بحكم شرعي تعبدي نزل بالقرءان، فنحن لم ننف وجود شيء خارج القرءان نتعلم منه ونتبعه ونطبقه، اقرؤوا معي قوله تعالى:

{ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }البقرة199، انظروا كيف أتى الحكم بالقرءان وأتى الكيفية متعلقة بممارسة الناس له ، وكذلك الصلاة والحج فقد أتى حكمهماً بالقرءان وذكر هيئة الصلاة و الحج عموماً وأتى تفصيل هذا التطبيق بالسنة التي مارسها النبي تطبيقاً للحكم القرءاني التعبدي وهذه الممارسة النبوية للصلاة و الحج في المجتمع الأول تواترت فيه بداية كممارسة دون انقطاع واستمرت كذلك تمارس وتنمو دون انقطاع في المجتمعات اللاحقة وهذا ما يسمى اصطلاحاً بالتواتر وأنا أحبذ مصطلح التتابع وهو مفهوم قرءاني وهو متعلق بالحدث وليس بالحديث ولا سند له ولا عنعنة ولا منية لأحد في وصول كيفية الصلاة و الحج لنا مثل فعل الإفاضة للناس بالحج، فالتتابع العملي هو السنة الممارسة لحكم شرعي تعبدي نزل بالقرءان فهو ليس مصدراً تشريعياً ولا برهان على صواب شيء أو خطئه، وإنما هو برهان على إثبات حصول شيء على هيئة معينة فقط، وهذا يعني أن التتابع متعلق بالحدث وليس بالحديث، وهو برهان إثبات حصول شيء وليس برهان كيف أو حكم على الشيء.

مع العلم أن الصلاة والحج موجودان في المجتمع الإنساني قبل نزول القرءان وهما سنة النبيين والرسل.

أما الأحاديث النبوية المتعلقة بالأذكار والأدعية في الصلاة و الحج فهي اختيار نبوي، مثل عندما نزل {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }الواقعة 74 ،قال: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزل: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }الأعلى1، قال: اجعلوها في سجودكم، فالأولى الالتزام بها مع صواب اختيار غيرها من الأذكار والأدعية، وكما تلاحظون هذه الأحاديث المتعلقة بالشعائر لا علاقة لها بالتشريع بحقوق الناس وأعراضهم وأموالهم ودمائهم وعلاقاتهم فيما بينهم أو تنظيم حياتهم.

قد يسأل أحدهم ألا يوجد سنة عملية للأحكام الشرعية الأخرى غير التعبدية؟

والجواب أن الأحكام الشرعية الأخرى لا يوجد لها صورة معينة وهي تخضع لعامل الزمان و المكان بخلاف الشعيرة التعبدية فهي لها صورة ثابتة لا علاقة للتطور بها.

ويسأل أحدهم أيضاً ألا يوجد وحي آخر غير القرءان نزل على النبي؟

والجواب طبعاً يوجد وحي آخر غير القرءان كان ينزل على النبي وهو متعلق بالتعليم والتأييد والإنباء له ، اقرؤوا:

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ }التحريم3

وهذا الوحي خارج القرءان لا علاقة له بالتشريع وغير ملزم للناس وإنما هو خاص للنبي في زمانه ولقومه فقط، وكل ما يلزم الناس من تشريع نزل بوحي القرءان وحفظه الله للناس.

- والسؤال المهم هل ننفي عن حديث النبي المصدر الديني، وهل لم يصح منه شيئاً أبداً؟

النبي العظيم كائن إنساني يتمتع بوجود موضوعي وليس خرافة ولا وهماً وكان متكلماً ومتحدثاً، ووصلنا كثير من كلامه وأحاديثه، وهذا ثابت على غلبة الظن تاريخياً حسب العنعنة ومصطلح الحديث وحسب رؤية قرءانية.

ونحن لا ننفي ذلك ولا ننكر هذه الحالة التاريخية.

فحديث النبي أو قوله هو تفاعل النبي مع القرءان والواقع الذي يعيشه وبما يصلح به حال مجتمعه وليس هو وحياً أو مقدساً وليس له صفة التشريع الإلهي الدائم مع الاحترام له كمادة تاريخية.

وأحاديث النبي حسب وصولها لنا أنواع:

1-يوجد منها ما هو إعادة الأمر أو الندب بالتمسك بمكارم الأخلاق والحض على العمل الصالح وما شابه ذلك فهذه هي صدى للنصوص القرءانية لا مانع من روايتها تحت النص القرءاني المعني والأصل لها وما ينبغي لها أن تسبق القرءان

2-أحاديث متعلقة بالحياة المدنية والآداب والنظافة، فإن كان المجتمع يعاني منها أو لا يعرفها وهو بدائي فلا مانع من الاستعانة بها لتشجيع الناس على الامتثال للحياة المدنية والنظافة والطهارة.

3- أحاديث متعلقة بالعبادات الشعائرية (الصلاة والحج) هي اختيار نبوي من الأذكار والأدعية أو تلاوة سور من القرءان، و الأفضل الالتزام بها مع جواز اختيار غيرها من جنسها ومن القرءان أو ما يفتح الله على العبد من ثناء ودعاء وذكر مجيد لله.

4- أحاديث النبي المتعلقة بقيادته للمجتمع في حال السلم والحرب.

وهي ظرفية وعلاجية وسياسية، يُدرس المقصد منها والحكمة للمعرفة المنهجية التي كان النبي يتوخاها ويسير عليها.

5- أحاديث للنبي المتعلقة بحياته المعيشية مع الناس وزوجاته والأولاد ، وهي تمثل الجانب الإنساني البشري له.

6-أحاديث النبي المتعلقة بالتشريع وهي تفاعله واختيار أحسن صورة للتطبيق تناسب زمانه وتحل المشكلة {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }الزمر55

7- أحاديث متعلقة بالنبوءات وهي خاصة لزمانه ولا تؤخذ حجة أبداً على شيء، وعندما تصح في الواقع نتكلم بها وهي غير متعلقة بالدين ولا علاقة لها بالإيمان أو الكفر

8- أحاديث متعلقة بالطب والصحة العامة هي من السقف المعرفي العلمي السائد في قومه أو المجتمعات المجاورة.

9- ما كان وحياً من الأنواع السابقة هو شيء لا علاقة له بالدين ولا بالإيمان أو الكفر وكل هذه الأحاديث هي ظنية الثبوت.

والنبي في هذا المقام يتصرف كبشر وإنسان وهو غير معصوم عن شيء إلا بإيمانه وعلمه وتقواه

7- **يوسف هريمة:** في كتابكم المهم " علمية اللسان العربي " خرجتم بنتائج تحتاج لوقفات تأملية. فهل يمكن أن تحددوا لنا مفهوم " العربي " في القرآن الكريم. هل الأمر مرتبط بجانب لغوي أم هناك تحديداً آخر يحتاج لاستكشاف؟.

ج- سامر إسلامبولي

لقد تم إطلاق كلمة (عرب) على أمة معينة، والتصقت بها اصطلاحاً قومياً، واستمر انتشار هذا المصطلح القومي على حساب تقلص دلالة كلمة (عرب) إلى أن تم زحزحة هذا المفهوم العربي الفطري وإزالته إلى صالح المصطلح القومي، و من جراء ذلك أخذ المصطلح العربي، صفة الأمة التي احتكرته لنفسها، فإن نهضت هذه الأمة صار مصطلح (العرب) يدل على النهضة، وإن هبطت صار يدل على التخلف، والانحطاط، وهذا العمل الاحتكاري لمفهوم (العرب) من قبل الأمة، أساء إلى دلالة المفهوم العربي الفطري، وصار صفة ذم، وقدح نتيجة انحطاط، وتخلف الأمة التي احتكرته لنفسها.

والقوم العرب هم الذين نشروا، وكرَّسوا حصر مفهوم دَلالة (العرب) بالقومية، وغيّبوا المفهوم الفطري لكلمة (عرب)، وقديماً قيل : أهل مكة أدرى بشعابها.

فأخذت الأمم الأخرى -خاصة الغرب منهم- هذا المفهوم القومي، وتم التعامل مع مفهوم كلمة (عرب) حسب الواقع الذي تجسده الأمة التي احتكرت هذا المصطلح، وسمّت نفسها به (الأمة العربية) التي تعيش على جغرافية معينة، رغم أنهم على الغالب لا يملكون من الصفة العربية إلا لسانها، ويستخدمونه بصورة أعجمية، وترتب على هذا العمل القبيح؛ العداء والحقد لمفهوم (العرب) وصار مفهوماً مقترناً بالذم، والقدح، والتخلف والانحطاط، لدرجة أنه صار في الغرب كلمة (عربي) شتيمة؛ لأنها تدل على الإرهاب والإجرام، والتخلف، والتعصب، والانغلاق، ورفض الآخر، إلى غير ذلك، فصارت في ثقافة الغرب، مثلها كمثل دلالة كلمة (يهودي) التي تدل على الانغلاق على النفس، وتقليد الآباء، ورفض الآخر، والغدر، والخيانة، والأنانية، والجشع، والبخل، والكره، والحقد، ومص دماء الناس !.

فعلى ماذا تدل كلمة (العرب) ؟

لنقم بتحليل أصوات كلمة (عرب) :

ع : صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء.

ر : صوت يدل على تكرار.

ب : صوت يدل على تجمع مستقر.

يدل المعنى الاجتماعي من خلال أبعاد التاريخ وعمق الفطرة استمرار نظام الإصلاح البيئي والاجتماعي، ويظهر مجتمعاً على مر الزمكان ومنبثقاً بعد كل غياب من فساد وانحراف فهو كامن باستقراره.

وإذا اجتمعت هذه الأصوات بترتيب كلمة (عرب) تدل على عمق أو بُعد مكرر، منته بجمع مستقر، وهذه الدلالة الفيزيائية لأصوات أحرف كلمة (عرب) تدل اجتماعياً على أصالة الشيء، وقيامه بذاته على ما هو عليه، وقدمه، ووجوده الفطري الرباني دون تدخل يد الإنسان به صنعة، فهو على طبيعته التي نشأ عليها مع محافظته على علاقته مع أصله، بصورة منسجمة تماماً.

ومن الطبيعة والفطرة الأصيلة بعيداً عن الفساد والانحراف ظهرت صفة العروبة للأشياء.

مثل :

1- **الحكم العربي** : {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ} (الرعد 37)

2- **القرآن العربي** : {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (**الزخرف3**) أي صيرناه قريناً لكتاب الكون ومنسجماً بأصالته وصفائه مع سنن الفطرة والطبيعة لعلكم تعقلون.

3- **الأرض العربية**: وهي الأرض الصالحة بيئياً للحيوان.

4- **الأخلاق العربية** : وهي القيم الأصيلة والصالحة على مر الزمكان بين الناس، نحـو إغاثـة الملهـوف، وإكـرام الـضيف، ونـصرة المظلـوم، والوفـاء بـالعهود والمواثيق.....الخ.

5- الحصان العربي، والسمن العربي، والقعدة العربية، والقهوة العربية، والخبز العربي، واللباس العربي، والنهار العربي، والخليج العربي.... الأصيل والصافي والطبيعي الصالح والصحي.

كل ذلك لا علاقة له بالقومية العربية، وإنما علاقته بالأصالة،والقِدم، والفطرة، والربانية،وعدم تدخل الصنعة به زيادة، أو نقصاناً.

لذا؛ ينبغي تحرير مفهوم كلمة (العرب) من القيود القومية، وإرجاعه إلى دلالته؛ مفهوماً إنسانياً، يدل على المدح والصفاء والنقاء، ويكون أساساً لالتقاء الأمم عليه، وعدم تسييسه، أو حصره بقومية معينة؛ ليرجع إلى ممارسة دوره الفاعل الإنساني، ويصير مفهوم (العربي) يدل على المدح، والنهضة، لا علاقة له بصفة الإنسان القومي الذي احتكر مفهوم العربية لأفكاره؛ ونمط حياته، أبداً.

وينبغي أن يزول من نفوس الشباب، الشعور بالدونية من انتمائهم العربي، وعدم محاولة إخفاء ذلك الانتماء من خلال الاختباء وراء لسانٍ أعجمي، أو امتلاك ورقة تدل على أعجمية الإنسان؛ ونفي عربيته؛ لأن مثله كمثل الإنسان السليم – عقلاً –، ويحاول أن يتشبه بالمرضى في طريقة سلوكهم، بل ويشعر بالخجل من سلامته العقلية والجسمية بين المرضى !.

فقولي : أنا إنسان عربي، تعني؛ أنا إنسان أصيل فطري، ذو أخلاق وقيم إنسانية، منسجم مع الكون، ونفي صفة العربي عن الإنسان، تدل على أنه إنسان أصابته العجمة تفكيراً وسلوكاً، ويعيش بصورة مخالفة للبيئة، ومفسد لها، من حيث المسكن والمآكل، ونمط حياته بصورة عامة، ويصير أعرابياً .

فكلمة عربي هي صفة للسان الذي نزل به القرءان ، وصفة للحكم الذي نزل بالقرءان، وهذا يعني أن صفة العربية لابد لها من ضم لصفة الحنيف ليصيرا كلاهما صفة لمنهج دراسة القرءان.

8- **يوسف هريمة:** ما المقصود بعلمية اللسان العربي؟ وهل في نزول القرآن الكريم بلسان قومية معينة أي مظهر من مظاهر العنصرية اللغوية؟ وكيف تقومون في كتابكم هذا ما قام به "عالم سبيط النيلي"؟.

ج- سامر إسلامبولي

عندما تم النّفخ في الإنسان من الرّوح ، ودخلت النفس في الجسم،قام بعملية التّفاعل فطرة (فعل ورد فعل)،وتفعَّل عنده السمع والبصر والفؤاد(جهاز الوعي والإدراك الثلاثي) وربط الأحداث بصُورة واعية، وترتب على ذلك؛ فعل الفقه، والإدراك المباشر للأشياء، وهذه هي المرحلة التّعقلية، السّابقة على وُجود اللّسان(اللغة)، وتكون لأفعال النّفس من حيث الشُّعُور بالحزن والسّرور، والضّحك والبكاء، والحب والكره، فهذه الأمور لا تحتاج إلى لسان، ومفردات؛ حتَّى يعقلها الإنسان في نفسه، فهو يحب ويكره دون وجود مفردات لفظية، وكذلك ربط الأحداث بمسبباتها المباشرة الواضحة، لا تحتاج إلى مفردات ولسان - أيضا - حتَّى يفهمها الإنسان، **فالإنسان يقوم بتعقل الأحداث بصُورة مُباشرة؛ نحو إدراكه أن فعل الطّرق، يحتاج إلى طارق، أو لابد من وُجُود طارق يقوم بالفعل، وذلك مُرتبط بصفة التّمييز، والتّحليل، والتّركيب، والرّبط، التي هي من صفات التّعقل خَلقاً؛ نتيجة النّفخة من الرّوح فيه، وهذا الإدراك العقلي، لا يحتاج إلى تفكير (دراسة وتجربة وتحصيل معلومات)؛ فهو مجرد فقه للأمور على ظاهرها من خلال الحواس.**

إذاً، فعل التعقل الذي ينتج عنه الفقه والإدراك، هو سابق عن ميلاد اللسان، وولادة اللّسان فعل لاحق لعملية التعقل، وهذه الولادة للّسان ظهرت من خلال إصدار أصوات فطرية بمثابة صُور حالية، أو صوتية للأشياء، أو الأحداث، التي تجري من حول الإنسان، أو معه، وبناء على تفاعل الإنسان، وتراكم أفعاله، وصل إلى تدشين ما يُسمى أساس اللّسان، من حيث الأبجدية الصّوتية، الكامنة في الكلمات ذات المقاطع الثّنائية بصُورة فطرية ، وفي هذه المرحلة، لم تكن عملية التّفكير قد بدأت عند الإنسان؛ **لأنَّ التّفكير غير التّعقل،** إذ التّفكير عملية دراسة وتجربة وتقليم للمعلومات، وفاعلية، وحصول على أدوات تُستخدم في تسخير الأشياء للإنسان، والتّفكير وظيفة هو نتاج لولادة المجتمع، فعندما وُلِدَ المجتمع الإنساني في الجنس البشري، زامن ذلك عملية بداية ظهور التّفكير عنده، ضرورةً اجتماعية، وهذا التّفكير؛ لا يمكن أن يتم إلا ضمن حقل، ومجال يستخدمه الإنسان في عملية الدّراسة، وجدولة المعلومات وحفظها مستخدماً عملية التقليم، فكان اللّسان الفطري ذات المقاطع الثّنائية، والأصوات الفطرية، هما الأساس والحقل الذي استخدمه الإنسان في عملية التّفكير، فاستجاب له نتيجة تفاعله معه، فتم توسعه وظهور كلمات ذات مقاطع ثلاثية، وصارت بمثابة جسم يُمثل أفكار الإنسان، وارتبطت مع الفكر والتّفكير بعلاقة جدلية، كلما توسع التّفكير، توسعت مفردات اللّسان معه لتسعه، وصارا كلاهما مظهراً من مظاهر المجتمع، والتّقدم، والتّطور، ونتج عن التّفكير صفة الفاعلية والعلم؛ ليُضافا إلى عملية التّعقل، التي نتج عنها الفقه والتّفاعل، ليحصل بين التّعقل، والتّفكير علاقة جدلية، التّعقل يوصل إلى التّفكير، والتّفكير يُنَـزّل المعلومات إلى التّعقل.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ **<u>لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ</u>** }البقرة164

{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ **<u>لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ</u>** }الرعد3

وهذه العلاقات هي:

- **العلاقة الجدلية التناقضية الفكرية (عدل وظلم)....**
- **العلاقة الجدلية التناقضية الداخلية (موت الكلمة/حياة الكلمة)**
- **العلاقة الجدلية الثنائية الضدية التعاقبية (الليل والنهار/ الساخن والبارد)**
- **العلاقة الجدلية الضدية التلاؤمية الإنسجامية، والتعايشية بين الزوجين من جنس واحد (الذكر والأنثى / السالب والموجب)...**

وقد أفرزت هذه العلاقة الجدلية، في اللسان، معادلة مؤداها أنه لابد لكل فعل من فاعل؛ وجوباً إما ظاهراً، أو مستتراً، ولابد لكل مبتدأ من خبر؛ وجوباً، ولابد لكل بداية من نهاية. وهذا يعني أن العربية مؤلفة من مجموعة منظومات عامة؛ إذ إنه لا يمكن فصل الجزء ودراسته على حدة، فلا يتم ظهور دلالة الكلمة العربية، إلا بوضعها في المنظومة العامة للجملة، والنص وما بعد النص.

فاللسان العربي لسان فطري كوني اكتشفه الإنسان من خلال تعامله وتفاعله مع الواقع والظواهر ، ولم يصطلحه اصطلاحاً أو وضعاً أو نزل وحياً من السماء، وهذا اللسان له قواعد وقوانين تحكمه مثل أي علم ، ويظهر ذلك بعلاقة الجذور بكل الاشتقاقات منه ، وعلاقة اللفظ بمحل الخطاب كعلاقة منطقية بينهما وليست اعتباطية، وهذا أعطى للسان العربي صفة الثبات في المفاهيم والحركة بالمعاني، فلو

جئنا بإنسان عربي منذ ألف عام وقلنا له: ماذا تعني كلمة ثلاجة؟ لأجاب فوراً دون تلكؤ إنها آلة تقوم بجعل الأشياء ثلجاً، وبصرف النظر عن هيئتها، بينما لو جئنا بإنسان يتكلم الانكليزي منذ مئة عام مثلاً وسألناه عن كلمة إنكليزية معاصرة لصمت لا يدري ماذا تعني، لأنها اعتباطية وضعية لا جذر لها ولا مفهوم علمي،بينما اللسان العربي هو أشبه بالشجرة والعلاقة بين جذورها وأعلى أغصانها بشكل جدلي.

وهكذا؛ فاللسان العربي نظام عام؛ لأنه لسان علمي، وهذا هو المحور الثابت فيه، ومن ثم؛ فهو ثقافة، وهذا هو المحور المتغير فيه حسب المعطيات الزمانية والمكانية.

هذه المعادلة تعطينا نتيجة مهمة، وهي أن النص القرآني هو نص عربي اللسان، ولكنه ليس عربيَ الثقافة قومياً؛ فلا يمكن حصر القرآن الكريم، وتقييده بثقافة المجتمع الأول، الذي زامن نزوله.

ومن هنا نطالب بوضع قاموس صوتي يعتمد على نظام اللسان فقط، والابتعاد عن الثقافة العربية القومية؛ حتى يتمكن الناس على اختلاف ألسنتهم، من التعامل مع القرآن بحرية إنسانية؛ فالقرآن حجة على الثقافة العربية، والعكس غير صواب، وما المعاجم اللغوية التراثية إلا توثيق ثقافي تاريخي للمجتمع الذي دُوِّنت فيه.

وبعد العلم بعلمية اللسان العربي حصلنا على جواب لماذا نزل الخطاب القرءاني بلسان عربي وليس بلسان آخر؟

والجواب لأن اللسان العربي لسان علمي كوني فطري وهو الوحيد المهيأ لحمل الخطاب القرءاني كونه خطاب علمي إنساني كوني لاعلاقة للقومية به لا من قريب ولا من بعيد

– وبعد انتهائي من كتابة بحث "علمية اللسان العربي وعالميته" نشرت مواضيعاً منه في النت، وخاصة المتعلقة بنشأة اللسان، ونفي عنه الاعتباطية، أو الوضعية، وإثبات أنه تفاعل إنساني فطري مع الظواهر الطبيعية، ونفي تطابق الدلالة بين الألفاظ المختلفة التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، وأن الأصوات العربية(الحروف) لها دلالة فيزيائية، ويوجد علاقة بين الدال والمدلول، وغير ذلك، فذكر لي أحد القراء المتابعين لما أنشر في النت: إن هذه الأبحاث قد سبقني إليها الباحث "سبيط النيلي" في مجموعة من كتاباته وقد نشرها منذ بضع سنوات وهي:اللغة الموحدة، والنظام القرآني، والحل القصدي للغة، واطلعت عليها فوجدتها عظيمة من حيث البحث والدراسة، وأبدع المؤلف فيها إبداعاً ربما غير مسبوق حسب علمي، وسررت عندما وجدت تطابقاً كبيراً بين بحثي وبحثه في أصول المنهج، وكثير من الفروع، لدرجة أن القارئ لهما يُخيل إليه أن اللاحق(أنا) قطعاً أخذ من السابق (سُبيط النيلي)، والواقع خلاف ذلك تماماً، فأنا لم أطلع على أبحاث "سبيط النيلي" إلا بعد انتهائي من البحث بتوجيه من القارئ الذي ذكرته، وهذا يعرفه كل أصدقائي لأنهم عاصروا كتابة البحث خطوة بخطوة وساهموا في تزكية البحث من خلال الحوار، والجدال أحياناً، ناهيك عن وجود بذور البحث مستخدماً في دراساتي السابقة التي بدء طبعها في عام /1994/،والقارئ الحصيف يدرك الفرق بين طريقة البحثين، وأسلوب العلاج للأفكار والوصول للنتائج، فيصل إلى أن الباحث الثاني (أنا) لم يطلع أثناء كتابته للبحث على البحث السابق لـ "عالم سُبيط النيلي" قط،وعندما اطلعت عليها لاحقاً حاولت أن أستفيد من أبحاثه على قدر الاستطاعة بما يسمح الوقت به على أن أعود لذلك فيما بعد، رغم أني لا أوافقه في تطرفه الطائفي وغلوّه، كما أني لا أوافقه في إخضاع النص القرآني لنظريته اللسانية وتصويبه بعض الألفاظ القرآنية على ضوئها

والقول بخطئها أو تحريفها من قبل الناس، نحو قوله عن كلمة (مَلَكين) في قوله تعالى: { وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} البقرة102. { وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} الأعراف 20 الصواب هو كسر حرف اللام لتصير (مَلِكين) ويصح المعنى بأن هاروت وماروت هم من ملوك الأرض وليس من الملائكة، وكذلك في النص الآخر! وذلك لأنه نفسه يَعُدُّ النص القرآني برهان على نظريته!، فكيف للبرهان أن ينقلب محلاً للتقويم أو الشك!.

ومع ذلك لم أدّع الأسبقية، ولم أطالب ببراءة اختراع! ولا يهم من كان الأول أو السابق في البحث،واحتمال التوافق أو التقارب بين باحثين وارد في الواقع دون أن يطلع أحد منهما على الآخر،والقارئ حر بقناعته، فالغاية هي نفي الاعتباطية عن نشأة اللسان العربي، وإثبات أن الأصوات العربية لها دلالة فيزيائية، ونفي ما اشتُهر بظاهرة الترادف بين الكلمات، ونفي المجاز، وغير ذلك، لإعادة دراسة التنزيل الحكيم وفق هذه الرؤية العلمية العربية لتغيير ما بالمسلمين من ذل وتخلف وهبوط في الفكر والمنهج، وربط المسلمين بلسانهم العربي الأصيل، وبالتنزيل الحكيم العربي لساناً وحكماً، لنصل إلى الإنسان العربي تفكيراً وسلوكاً منسجماً مع الكون والإنسانية.

9- **يوسف هريمة:** نعيش اليوم أزمة وجودية على مستوى الفكر الديني وما يحدثه من صراعات عالمية أفرزت نوعاً جديداً من المقاربات الأصولية المتطرفة. فبالنسبة إليكم ما هو سبب هذا التراجع الفكري؟. وكيف تردون على من يقول بأن مصدر العنف هو النصوص الدينية خاصة في الدعوة إلى القتل وأخذ الجزية وضرب الرقاب؟ فهل هذه القراءات صائبة؟ أم أن هناك خطأ منهجي في تناول بعض الآيات التي ذكرت كل ما تحدثنا عنه سابقاً؟

ج– سامر إسلامبولي

التراجع والتخلف في أمة لا يكون ولادة الساعة وإنما يكون حدث تراكمي تاريخي قديم له أسبابه التي استمرت في ذاكرة الأمة وتنشأ الأجيال عليها ، فبدأ التصدع في فكر الأمة فور وفاة النبي محمد وظهر ذلك جلياً في النزاع على السلطة بين الأنصار والمهاجرين ، وتم علاج الأمر إسعافياً وليس علاجاً جوهرياً، وبقيت المشكلة تتفاقم وتمثلت بغياب دستور وفقه الدولة ، وحصل ما حصل من أحداث دامية دفع ثمنها الحكام الأربعة الأوائل اغتيالاً، وانتقل نظام الحكم إلى النظام الوراثي الذي هو امتداد لطريقة حكم القبيلة من حيث الوراثة لكرسي السلطة في الأسرة الواحدة، واستمر ذلك النزاع على السلطة ولبس لباس الدين وتأدلج وظهرت أكبر فرقتين في تاريخ المسلمين الشيعة و السنة وبدأ تدشين فكر طائفي معارض وآخر مؤيد لنظام الاستبداد والاستعباد وكلاهما مسيس وتم وضع أحاديث على لسان النبوة بعد أن أعطي صفة المصدر التشريعي الإلهي والقداسة ليسهل إدخاله إلى قلوب المسلمين مثل القرءان دون استئذان أو توقف من العقل لنقاشه.

وتشرذمت الأمة إلى ملل وتناحرت وصارت الدعوة لمللها ورجالها ومعتقداتها وليس للإسلام الحنيف، وصار الحديث المنسوب للنبي وفقه الكهنوت تحت أي مسمى أو ملة هو المصدر الديني الذي يرجع له معظم المسلمين ويربون عليه الأجيال، والقرءان هو مجرد نص للبركة والتلاوة على الأموات والرقية للمرضى فلم يعد له تأثير على الناس رغم أنه نزل للأحياء وليس للأموات، وهذا الوضع انتقل من العامة إلى الباحثين أيضاً فهم يدرسون كل شيء يتعلق بالتراث الإسلامي وأسسوا أصولهم الفقهية و الدينية على التراث أيضاً وهجروا القرءان وكأنه ليس

المصدر الرئيس للدين الإسلامي وليس هو كلام الله والوحي الذي نزل على النبي محمد!!.

فرجعت الأمة في غالبها إلى مرحلة الجاهلية ولم تبدأ بعد بالسير في طريق الرشاد ، فالقرءان أسس منهج الرشاد وقام النبي بتدشينه في الواقع واستطاع أن يصنع أفراداً راشدين وتوفي النبي ولم تصل الأمة كمجتمع إلى الرشاد، وسرعان ما استحضرت آلية التفكير الجاهلية ودخلت تحت ظلال القرءان والفقه و التفسير وانتشرت باسم الإسلام ، واستمر الوضع كذلك نصنع تخلفنا من خلال مؤسساتنا ومراكزنا التثقيفية والتدريسية من حوزات أو مساجد أو جامعات بشكل ممنهج ومدروس ويخرج جيل مغسول الدماغ فاقد صفة الرشاد، فأزمتنا أزمة غياب ثقافة راشدة قرءانية للأمة وليس لأفراد منها وتعتمد على منهج عربي حنيف في دراسة القرءان برؤية علمية تقوم على المنظومات الكلية الكونية و القرءانية وليس الجزئية والعينية .

وتعامل معظم المسلمين والباحثين مع القرءان هو تعامل جاهلي شيطاني يقوم على العضوضة وتحريف الكلام عن موضعه مثل(فويل للمصلين) و (ولا تقربوا الصلاة)، وفهموا القتال في القرءان بهذا الشكل المعضوض الشيطاني إذ نزعوا النص أو الأمر من سياقه وفهموه بمعزل عن منظومته التي ينتمي إليها والدافع للقتال.

الأصل في الإسلام هو التعايش والتعارف والتعاون بين الناس وحسن الجوار والسلم والسلام الذي يقوم على محور الحريات الإنسانية والحقوق، وهذا لايعني أن الإسلام لم يأمر بالدفاع عن النفس والوطن حين العدوان ولكن جعل ذلك بالحد الأدنى من الخسائر للطرفين والحفاظ على حياة الناس ، وجعل ذلك حكم ظرفي استثنائي متعلق بالدفاع عن النفس أو توقيف العدوان، {كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة216 ، وهذا حكم اجتماعي وليس حكماً فردياً بين المواطنين في المجتمع الواحد إذ يمنع منعاً باتاً استخدام القتال أو الحرب بين المواطنين وإن حصل ذلك ينبغي التدخل وتوقيفه فوراً.

فالأمر بالقتل في القرءان هو أمر متعلق بظرف حرب دائرة في ميدان المعركة وليس أمراً عاماً في الحياة وليس ثقافة المسلم الدائمة والثابتة، فالإسلام من الفعل الرباعي أسلم و يتضمن بداية بمفهومه الانقياد الطوعي السلمي الإيجابي الحر فهو ليس استسلاماً كما هو شائع في الأدبيات الشيطانية، لذلك من الخطأ الفاحش اقتطاع نص (فاقتلوهم) وجعله شعاراً أو مبدءاً ثابتاً في حركة الإسلام أو علاقاته مع غير المسلمين، هذا الأمر(فاقتلوهم) يُرفع أثناء المعركة والحرب دائرة بين المسلمين والمجرمين الأنجاس العدوانيين.

ومفهوم الجزية التي يتبناها داعش وغيره ويستغلها أعداء الإسلام في نقضه هي أمر تتعلق بسلوك دولة وليس بسلوك فرد أو جماعة، وهي بمثابة عقوبة اقتصادية تُلزم بها الدولة المعادية وليس الأفراد أو الشعب وذلك لكف عدوانها وإخضاعها وإضعافها وجعلها تدفع ثمن الأضرار التي لحقت بالمجتمع المسلم ، وهذه الجزية ليست دائمة وإنما مؤقتة ريثما تتغير ثقافة الدولة المعادية وتدخل في السلم .

وضرب الرقاب لا تعني بتر الرقبة التي تحمل رأس الإنسان، فكلمة ضرب تدل على إيقاع شيء على شيء يترك فيه أثراً بالغاً، وكلمة الرقاب جمع رقبة التي تدل على ما يُنصب بقوة لحمل غيره ، وسياق الأمر بالضرب يتعلق بالحرب والمعركة وهذا يعني ضرب مراكز قوى الجيش من الآلة والعتاد أو البشر القادة وشل حركتهم وفاعليتهم وليس المطلوب إزهاق حياتهم فذلك ليس مطلباً دينياً.

فالعنف والإرهاب في المجتمع الإسلامي وُلد نتيجة تضافر عدة أمور مع بعضها وليس مجرد أمر واحد، بدأ الاحتقان من غياب الدستور ونظام الحكم و الدولة، وجعل الحكم وراثي يقوم على الاستبداد والاستعباد وسرقة الثروات وعد الوطن ملك للأسرة الحاكمة ومزرعة لهم، واستمر ذلك الاحتقان والضغط فولدت المعارضة العنفية التي بحثت عن نصوص تدعم عنفها لتبرره وتجيِّش الناس ضد الحاكم الظالم الغاشم، وكرد فعل وُلد أيضاً تيار مؤدلج يخدم السلطة الحاكمة باسم الدين، وكل تيار صنع أو اختار نصوصاً دينية لدعم موقفه واعطائه الصبغة الشرعية، فداعش وحالش هما أبناء الأمة الشرعيين وُلدا من رحمها ولم ينزلوا من الفضاء الخارجي، فداعش وُلد من التيار السني، و حالش وُلد من التيار الشيعي رغم أن الولادة كانت مشوهة ، ومازالت الأمة تحمل في رحمها كثيراً من الأجنة الذين ينتظرون الولادة في ظروف أخرى، فالأمة تحتضن مشروع داعش وحالش في رحمها، ولو أظهر بعض الباحثين المخالفة لداعش أو حالش ولكن الحقيقة أن آلية التفكير والمرجعية واحدة والاختلاف هو فقط بالظروف أو الوقت، ولا ننسى تدخل القوى الاستكبارية في استغلال هذه الأجنة والإشراف على ولادتها وتوجيهها لخدمة مصالحها ،فلا حل إلا بتغيير آلية التفكير والمرجعية وتجميد التراث وتفعيل دراسة القرءان بمنهج عربي حنيف لتأسيس أمة راشدة ينبثق منها حكومات راشدة.